الفيلسوف نتشه

هو فردرك ولهلم نتشه F. W. Nietzsche الفيلسوف الالماني . ولد قرب ليبسك سنة ١٨٤٤ ودرس في جامعتي بُن وليبسك وجُعل استاذاً للتاريخ في جامعة باسل وعمرهُ ٢٥ سنة والحال ظهرت براعتهُ في الانشاء وبدت آراؤهُ الفلسفية . واصيب سنة ١٨٧٦ بمرض في عينيهِ ودماغهِ فانقطع عن التدريس ثم أُحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ . وبقي السنوات العشر الاخيرة من عمرهِ يتنقل من مكان الى آخر التماساً للصحة . وقد قال انهُ كان يتألم مئتي يوم من كل سنة . لكنهُ لم ينقطع عن الكتابة ونشر الآراء الفلسفية واخيراً اشتدَّ عليهِ خلل دماغهِ حتى حكم الاطباء سنة ١٨٨٨ انهُ صار مجنوناً لا يرجى . وبقي كذلك الى ان توفي في ٢٥ اغسطس سنة ١٩٠٠ . ولذلك كثر التشويش والتناقض في فلسفتهِ ولكنها اخذلت عقول الالمان بما فيها من جوامع الكلم والبلاغة في الانشاء وقد انتقد فيها كل المسلَّمات في العلوم والعادات وطعن في الدين المسيحي وآدابهِ كما طعن في مظاهر التمدُّن الحالي . فاشتهر بانهُ ملحد حر الفكر لكنهُ انتصر للآداب وقال انها هي الغرض الاسمى الذي يجب توخّيهِ وان الانسان القوي الراقي يجب ان يدوس الانسان الضعيف المنحط ويلاشيهِ . وبلغ بهِ انتقادهُ على الحكومة ان صار فوضوياً وعلى العامَّة ان صار من انصار الخاصَّة المجدين لهم . وعارض استاذهُ شوبنهور في فلسفتهِ الشؤمية التي تنعى على الناس امورهم ولا تنظر الى المستقبل الاَّ بعين تمكها الظلام لكنهُ اقتفى خطواتهِ في هذه الفلسفة

وقد شاعت فلسفة نتشه على ما فيها من التناقض وعدم الانسجام لانهُ بناها على مذهب النشوء الطبيعي الذي قال بهِ دارون فقال ان نشوء الانسان وارتقاءهُ جسداً وعقلاً وادبًا نتج عن التنازع والمباراة وانقراض ما لا يصلح للبقاء من اعضائهِ واخلاقهِ . فمدح القوة الوحشية والتفوُّق في الحيَل وكل ما يلزم للفوز في تنازع البقاء حسب مذهب النشوء وقال ان مسألة النشوء والارتقاء جسداً وعقلاً وادبًا انما هي مسألة فيزيولوجية متوقفة على اعضاء الجسم وقواها . ونفى فائدة الحنو والمحبة والتسامح وكل العواطف التي تحمل الانسان على ان يؤثر غيرهُ على نفسهِ ولكنهُ عاد فاثبت نفعها ضمناً لما بيَّن ان انسان المستقبل الراقي انما يرتقي بما يبذلهُ اهل هذا العصر في سبيل ترقيهِ ولو بتضحية انفسهم . فجمع بين الانانية والغيرية على نوع ما . وقال ان الفضائل الدينية والحنو على الضعيف امور ضرورية لا بدَّ منها في

سبيل السير نحو الكمال المنشود ولكنها تعارض هذا السير فلا بدَّ من التغلُّب عليها لانها حقيرة لذاتها ولانها تأول الى بقاء الضعفاء الخاملين الذين لا يستحقون البقاء بل بقاؤهم يضعف نوع الانسان . وعليه فقد بنى الغيرية على الانانية واشار باستئصال كل مبادىء الغيرية كالشفقة والرحمة والايثار ولكنهُ اوجب على الناس ان يضحوا مصالحهم الخاصة امام مصلحة بلادهم وهذه هي الغيرية بالذات

ولا شبهة انهُ اصاب في تخطئته الفلاسفة الشوميين والذين ينادون بالتقشف والابتعاد عن الدنيا وما فيها من خير وشر ولكن فلسفتهُ تنقض نفسها بنفسها كما تقدَّم وتسخف بتاريخ البشر وتقلب حقائق الآداب ثم ان القوة والقدرة والمهارة التي جعلها غرضاً ساميًا الآداب التي قال بها تظهر لدى البحث فيها نسبيَّة في فائدتها مثل غيرها من الافعال الادبيَّة وهي وسائل يقصد بها الوصول الى غايات وراءها اذا تحمَّل الانسان بها صار انسانًا كاملاً واما اذا جرى على ما يريدهُ لهُ نيتشه عاد وحشًا ضاريًا وخسر الميزة الجوهرية التي تميزهُ عن الحيوان الاعجم وهي قوة الوجدان

ومن رأيهِ ان الطبيعة رقت الانسان حتى اوصلتهُ الى ما وصل اليهِ في زمن المصريين الاقدمين واليونان والرومان وذلك بانقراض الضعيف امام القوي في تنازع البقاء ولو ترك الامر لها لزاد هذا الارتقاء زيادة كبيرة فكنا نرى الآن فرقًا كبيراً بين اجسام البشر واجسام اسلافهم . ولكن البشر قاموا ضد الطبيعة وقاوموها فمنعوا انقراض الضعيف من امام القوي واحتفظوا بهِ وبنسلهِ واذا استمرُّوا على خطتهم هذه فستكون ذريتهم مثل اسلافهم او احط منهم

وقد نشرنا منذ بضع سنوات فصلاً عن نيتشه وفلسفتهِ جاء فيهِ ما نصهُ

«آداب الامة او القبيلة واخلاقها موضوعة لغرض ما فان بطل الغرض بطل الداعي للآداب والاخلاق . ولكن اذا تقادم العهد على قوانين هذه الآداب الاجتماعية يغفل النظر عن الغرض منها وتصير لتبع اتباعًا اعمى . وبعض هذه القوانين طبيعي لا يمكن ابطالهُ وبعضها اجتماعي يمكن ابطالهُ متى بطلت فائدتهُ . فمن الطبيعي مثلاً التزاوج ومن الاجتماعي ازواج . ومن الطبيعي حب القوة ومن الاجتماعي الشفقة على الغريب او الضعيف

« فاذا نظرنا الى فضيلة الشفقة على صاحب العاهة كالأبله او المقعد او المولود اعمى . هل نحن محقون في شفقتنا عليهم بعد ان عرفنا قانون الوراثة ؟ هل من الفضيلة ان نقدم لصاحب العاهة وسيلة يكثر بها نسلهُ ؟ نعم انهُ من الفضيلة والانسانية ان نقدم لهُ اسباب

الراحة ولكن من الجرم ان تسمح له بالزواج وتكثير اصحاب العاهات الوراثية

« وقد بيّن نيتشه ان اصل الآداب حب القوة . وان في الامة دائماً نوعين من الآداب وهما في عراك دائم . الاول « آداب السيد » التي يرغب القوي في ان تعم لانها تزيده قوة والثاني « آداب السود » التي يرغب الضعيف في ان تعم لانها تزيده قوة . وضرب لذلك مثلاً العصفور والصقر فمن مصلحة الصقر ان يأكل العصفور ومن مصلحة العصفور ان يموت الصقر جوعاً . ثم استنتج من ذلك ان الآداب العصرية المتبعة هي آداب الضعيف التي تمنع القوي من الظهور ومن تكثير نسله كالزواج بواحدة والشفقة على الضعيف ولذلك قاوم الديانة المسيحية لانها زعيمة هذه الآداب . وقال ان واضع هذه الآداب هو الضعيف فهي تؤول الى تخليد جنسه والغاء الجنس القوي فاذا استمرت سائدة ضعف الجنس البشري وربما انقرض فاذا اردنا تحسينه وجب علينا ان نقلب ميزان هذه الآداب اي يجب ان نجعلها تؤول الى تخليد الجنس القوي وابادة الجنس الضعيف »

وكان من نتائج فلسفته وفلسفة ترتشكي ما نراه الآن من تدرع الالمان بالقوة الحربية والحيل والدسائس لكي يتغلبوا على جيرانهم ويبسطوا في الارض ولو فرضوا منها سكانها . والغريب من امرهم انهم كلهم يرمون الى هذا الغرض كبارهم وصغارهم علماؤهم وجهلاؤهم حتى اساتذة المدارس الجامعة . فاذا فرضنا جدلاً انهم مصيبون في رأيهم وان الضعيف يجب ان ينقرض من امام القوي فهل الاقوياء متساوون في قوتهم او ليس بينهم الضعيف في جنب من هو اقوى منه أو لا ينقرض الاقواء امام من هم اقوى منهم . وكم يبقى من نوع الانسان اذا ظل قوي يفتك بضعيفه وظل وصول القوي الى الضعيف سهلاً كما هو الآن من غير وازع ادبي

واذا عُقد النصر للالمان في هذه الحرب — وهذا بعيد الاحتمال — فاول شيء يفعلونه القضاء على الامم الضعيفة واستغلال اموالها وكل ما تتملكه فتقوم في وجههم كلها لان النفوس تأبى الضيم ولو صغرت فتدوم الحرب وتتوالى المعارك وتستحكم العداوات الى ان تتقوّض دعائم العمران في مغارب الارض ومشارقها ايضاً . واذا لم يعقد النصر لهم ولكن بقيت الحرب سجالاً دامت ثلاث سنوات او اكثر ولا تكون ويلاتها وشرورها اخف وطأة على نوع الانسان . ولذلك لا يقل شرها الاّ اذا فاز الحلفاء وكان فوزهم قريباً بعد شهر او شهور وغُلبت المانيا على امرها وشفيت من غرورها ومُنعت من اثارة حرب اخرى ولو بعد السنين الطوال